

قيمة الوثائق التاريخية

كنا أشرنا ، في الجزء الأول من كتابنا ، إلى الوثائق المطوية ، العربية والتركية ، التي وجدناها في دار المحفوظات التركية بإستانبول - وكان بعضها غير « مفهرس » ، ثم امتدت إليه يد العناية فليخصت محتوياته و « بوبت » موضوعاته - وهناك وثائق كبيرة الخطر في القاهرة وفي بلدان أخرى عربية وأجنبية تلقي أضواء على نواح ما تزال مجهولة من التاريخ العربي عموماً والتاريخ السعودي خصوصاً ، ونحن لا ندعي أننا وقفنا على كل تلك الوثائق وأحطنا بها علماً وأفدنا منها في تحقيق الوقائع المذكورة في كتابنا ... ولكننا نرجو أن تقوم الحكومة السعودية ، في عهد فيصلها العظيم ، يجمع هذه الوثائق وترجمتها وترتيبها وتكليف عدد من الباحثين دراستها و « تقييمها »^(١) ثم وضعها في متناول المراجعين .

أما هذه الوثائق المحدودة التي تخيرناها من بين عدد كبير من مثيلاتها ، ونشرناها في هذا الملحق ابتداءً من الصفحة ٢٧٥ حتى الصفحة ٣١٧ ، فكان السبب في اختيارها صلتها بالحلة المصرية الأولى التي بدأت في عهد الإمام سعود ،

(١) كان الأمل أن يقال « تقويم » .. ولكننا أخذنا بهذه الصيغة ، حتى تعرف النسبة إلى القبة .. وهي الصيغة المشهورة.

والتي لخصنا وقائمتها في هذا الجزء من كتابنا ، وقد قارنتا بين مضامينها وبين أقوال ابن بشر وغيره من المؤرخين وكونتا على هدى هذه المقارنة رأينا وقناعتنا . ونحب أن نشكر هنا للأخ الكريم الاستاذ فوزي هنانو ، الذي ترجم لنا النصوص التركية ترجمة تكاد تكون « حرفية » ، مؤازرته لنا ، وقد أثبتنا ترجمته بعد تعديل يسير جداً ، وبعد حذف شيء من الكلمات النابية التي استعملها محمد علي وابنه وغيرهما في كلامهم عن أهل نجد وحكام الدرعية ، وهي موجودة في الأصول التركية ، ولا يضرّ حذفها شيئاً في وصف الأحداث التاريخية .. وأما ما أبقيناه من تلك السباب ، فإنما استبقيناه للدلالة على سوء أدب كاتبه وافتراءهم وبهتانهم .

هل تعهد سعود بالابتعاد .. عن الحرمين ؟

ومما يحسن التنبيه عليه ، في أمر الوثيقة (١٩٥٤٠) المنشورة في الصفحة (٢٧٦) ، أنها كتبت في عهد الإمام عبد العزيز ، وكان من حقها ، تاريخياً ، أن تثبت في الجزء الثاني من كتابنا ، ولكننا اخترنا لها هذا المكان ، لأنها تتعلق بسعود ، ولأن كاتبها ، والي العراق علي باشا ، يزعم أن سعوداً (تعهد بالابتعاد فيما بعد من حدود الحرمين ، أو من حدود الممتلكات الحاقانية .. وحين أبدى وأكد رغبته في ذلك وحلف الأيمان وأعطى المواثيق على ما قال وتعهد ، أخذ منه سند محرر ألصق عليه طابع رسمي ..)

ولا نشك في أن هذه الدعوى باطلة تماماً ، ولم يُشِرْ إليها أحد من مؤرخي الترك الموثوقين ، وربما ذكرها الوالي ليبرر تخلفه عن القيام بمحاربة الدرعية ! ..

مساعداً الترك للمصريين في إعداد الحملة :

أما الوثيقة (١٩٥٤١) فقد اخترناها لأنها واحدة من الوثائق الكثيرة التي تدلنا على أن الأتراك كانوا يساعدون المصريين في بناء السفن الحربية وتجهيزها بالمدافع ، كما ساعدوهم بإرسال القذائف والصواريخ ومختلف الأسلحة والضباط والمدرّبين والعساكر .

وصف المعارك :

أما الوثائق الأخرى فتتصل بوصف المعارك التي وقعت في ينبع وبدر والجديدة ، وقد أشرنا إليها في وصفنا لتلك الحوادث ، والأمر المستهجن الفظيع الذي نجده في بعض رسائل طوسون وأبيه محمد علي هو اعتزازهما بتهاوي الرؤوس المقطوعة ، وهذه الحالة هي أسوأ حالات « النفسية » المرضية للأخلاقية التي يسمونها في الغرب : (الكلبة) !

رسائل العربان :

وقد أثبتنا الوثيقة ١٩٧٠١ العربية وهي رسالة صادرة عن الشيخ طالب بن بدير ، ضابط (العلا) ، وفيها يخبر والي العراق ، رواية عن حاكم المدينة ، أن طوسون وصل الرس ، وأن بدو حرب ذبحوا (ابن حجيلان) ورجاله .. وهذه الحماسة المصطنعة في رواية الاخبار والمبالغة فيها كانت نتيجة شراء الضمائر ليس غير .

الاحاديث المصنوعة :

وقد أثبتنا أيضاً الوثيقة ١٩٥٤٧ ، وهي رسالة من محمد علي الى السلطان ، يعترف فيها بخسائره الجسيمة في الأنفس والمعدات ، وبضعف (معنويات) جنوده ، وأنهم « أوصوا بالثبات والحزم ، وأن يحتفظوا بعقولهم في رؤوسهم » ، ومن أعجب الأمور أن محمد علي يقول للسلطان ، مبرراً فشل الحملة ، أن إقليم الحجاز (مهلك للنفوس) ، ويورد هذا الحديث المصنوع :
« من صبر على حرّ مكة وبرد المدينة فتحت له الجنة » !

قيمة الوثائق :

ومهما تكن المآخذ التي نأخذها على بعض الوثائق ، ففيها كثير من الحقائق ، بما تتناول من وصف للوقائع ، وتحديد للتواريخ والأماكن ، ولا بد لكل مؤرخ من الإطلاع عليها والإفادة منها ليكون عمله مساهمة مرضية في خدمة الحقيقة والتاريخ .